

أساليب الكناية في قصائد كمال الأمازي للشيخ محمد قن الغسوي

إعداد:

الدكتور / نور عبد الرحمن

قسم الدراسات العربية، الجامعة الفيدرالية دوظنما، كشنا

nabdurrahmam@fudutsinma.edu.ng

و

محمد تكرر ثامن

stmuhammad@fudutsinma.edu.ng

و

الدكتور أمين عمر فاروق

مستخلص المقالة:

تهدف هذه المقالة دراسة الكناية من خلال قصائد كمال الأمازي للشيخ محمد قن الغسوي، على أنه واحد من كبار علماء كانوا بحيث قد قرض أشعارا كثيرة الأمر الذي جعل من الباحثين عكفوا على هذه الأشعار واستخرجوا ما فيها من ذخائر اللغوية، ويهدف المقال إلى استخراج الكناية بنوعيتها من خلال هذه القصائد، كما تمكن أهمية المقال في إبراز السر البلاغي في هذه الكنايات الموجودة في قصائد الشاعر. ويتنهج المقال المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى أهداف المقال وهي: أن قصائد كمال الأمازي مليئة بالكناية الذي يدل على الملكة اللغوية للشاعر محمد قن الغسوي.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد: فهذه المقالة عبارة عن أساليب الكناية في قصائد كمال الأمازي للشيخ محمد قن الغسوي. وتتكون المقال من المحاور الآتية: موجز حياة الشاعر.

الدراسة النظرية عن الكناية.

الكناية صفة والموصوفة ونسبة في قصائد كمال الأمازي.

أهم النتائج والخاتمة

الله تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، لا حظ فيه لسواه. والحمد لله رب العالمين.

التعريف بالشاعر وقصائد كمال الأمازي:

نسبه مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد بن علي بن حسن الغسوي مولدا، والكنوي مسكنا، وكان أصل والده من

سلالة الأسرة المالكة في مدينة دورا، فقد كان أجداده هم الملوك حينذاك، عاشوا ردحا من الزمان هناك، ثم انتقل بعضهم إلى مدينة غسو في ولاية زمفرا .

ولادته:

ولد الشيخ محمد فن سنة ١٩٣٨م، في حيّ فيلين تَنكُو، وما زال بيت أسرته التي ينتمي إليها موجود في مدينة غُسُو التي هي عاصمة لولاية زَمْفَرَا.

نشأته:

نشأ الشيخ محمد قن في حجر والده الحنون الذي وجهه نحو الحياة الراقية توجيها حسنا وأراه طريقا لا يزال سالكه يذكر بكل خير على مر الزمان وأعدله عده عاش بها محترما بين أقرانه ومثالا يهتدي به للجيل الناشئ فانتفع ونفع وصار شغله منيرا في مجتمعه، حيث شغله بطلب العلم وتحصيله منذ نعومة أظفاره عن كل ما سواه، والعلم هو أنفس ما يمتلكه الإنسان في الحياة الدنيا.

ونشأ في بيت اشتهر أهله بالعلم، والورع، والعبادة، والخير، فوالده الشيخ علي عالم مشهور، معروف بالعكوف على طلب العلم ونشره، وبتمسكه بتعاليم الإسلام، وسعي في نشر الخير، وبث الفضائل بين الناس، وكان فلاحا، يعمل جاهدا في الإنفاق على أهله عن طريق التكسب بالحراثة. أما والدته السيدة فاطمة، فكانت مشتهرة بالعبادة والزهد والصلاح، كما اشتهر ذلك في أسرتهما العريقة، واشتهر بعض إخوتها بغزارة العلم، حتى أخذ عنهم بعض الشيوخ والعلماء الكبار في مدينة غسو، ومن إخوتها الشيخ موسى مَادُغُو (MADUGU)، الذي كان عالما كبيرا، تخرج على يديه عدد كبير من مشاهير علماء غُسُو وما جاورها ومن أبرزهم الشيخ بلاري غُسُو، صاحب الزاوية الكبيرة للطريقة التجانية في غُسُو.

مما تقدم، يظهر أن أسرتي الشيخ محمد قن قد كانتا مصدرين عظيمين من مصادر العلم يرتادها الوراد، للأخذ من مائهما العذب، وللحصول على ما يرغبون فيه من علوم نافعة، وأخلاق نبيلة. وبديهي أن يحذو الشيخ حذو أسرتي أبويه، ويتأثر بهم، حتى يبلغ المكانة العلمية التي بلغها، ويحصل على المرتبة التي حصلوا عليها. وقد بما قيل:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم

تلاميذه:

وكان له تلاميذ من أقطار مختلفة، فيهم من جاء من كَبِّ (kebbi) وغومبي (Gwambe) وبوئي (Bauchi) وغوند (Gwandu) وصكوتو (Sokoto) وغشوا (Gashuwa) وجوس (Jos) وأدماوا (Adamawa) وجمهورية نيجر (Niger Republic) وغير ذلك من الأقطار، فمثلا : الأستاذ يوسف علي من غشوا، والأستاذ الحاج عبد المؤمن غورا من كَبِّ (Kebbi) والأستاذ مالم محمد دميري من غشوا، الأستاذ محمد الناصر إمام جامع وجي من ولاية كنو Limamin waje.

وقد ينفق جميع أوقاته في التدريس، إلا أنه لما بلغه الكبر قد انتقص بعض الأوقات، وهذا من طبيعة الحياة، فأصبح يدرس في أوقات محصورة معدودة كالتالي: في كل يوم بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، واليوم أصبح ذلك في أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء، كما يدرس في كل يومي الخميس والجمعة من الساعة السابعة إلى التاسعة، وفي كل شهر رمضان يكون حلقة كبيرة لتفسير القرآن الكريم، إلا أن الأخير سلمه إلى ابنه الأستاذ فاروق قن وهو يتولى هذا الأمر حالياً، كما يتولى ساعة واحدة من تدريس يومي الخميس والجمعة فيكمل الشيخ محمد قن (الوالد) الباقي

حياته العلمية:

رحل الشيخ محمد قن إلى كتاتيب مالم موسى مَادُغُو وهو في السادسة من عمره حيث أخذ مبادئه العلمية من قراءة وكتابة كما هو متعارف عليه في الكتاتيب، ثم انتقل إلى قرية قَرْمَنْجِي في جنوب ولاية كشنه ودرس فيها عند شيخه المقرئ يعقوب، فحفظ على يديه القرآن الكريم في مدة لا تتجاوز سنتين ونصف، وبدأ عنده الدروس الأساسية في الفقه والحديث واللغة العربية حسب المقررات المعروفة في المدارس الدهليز في شمال نيجيريا، ثم بعد ذلك واصل دراسته عند أستاذه محمد الثاني الذي يسكن في مدينة كنو في حي قوفر قُوفَر نَاسَا (KOFAR NAISA)، وهو في سادسة عشر من عمره اتصل الشيخ بعلماء كثيرين في مدينة كنو، من بينهم؛ مالم ثاني قوفر نَاسَا (KOFAR NAISA)، الذي أخذ عنه فقه المالكية متن العشماوي، ومختصر الأخضر، والمقدمة العزية، ومنظومة القرطي، ومتني ابن عاشر وابن رشد، كما درس عنده قصيدة العشرينيات في اللغة والمديح النبوي. ولما رأى مالم ثاني قُوفَر نَاسَا توقد ذكاء الشيخ، ونضوج عقله، وسرعة إدراكه، ألحقه بمعهد الشيخ عثمان القلنسوي (مَيْهُولَا-MAI HULA)، الذي كان آنذاك مكتظاً بتلامذة كبار في مدينة كنو أيضاً، ودرس عنده الكتب المطولة في فن الفقه والحديث والنحو والصرف والبلاغة والتفسير، وغيرها من فنون العلم، ومن الكتب التي درسها عنده على سبيل المثال: مختصر الخليل في الفقه المالكي، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وأسرار البلاغة للجرجاني ومقامات الحريري في الأدب العربي، وغيرها من الكتب. وظهرت عبقرية هذا الشاعر بين زملائه الطلبة، فأصبح أكثرهم نبوغاً، وأسماهم مكانة، وأرفعهم صيتاً، غير أن حرصه الشديد على الاطلاع على الفنون العلمية المختلفة دفعه إلى استئذان شيخه للالتحاق بمدرسة العلوم العربية بكنو، حيث قضى أربع سنوات، وتخرج فيها بدرجة الامتياز في الدراسات الإسلامية، وأيضاً التحق بجامعة بايروا حيث درس فيها مدة ثلاث سنوات لنيل شهادة الدبلوم في سنة ١٩٧٦م.

لقد سافر هذا العالم إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج والعمرة كما زار مصر والسودان وغيرها من الدول العربية، وكان له حظ كبير في تعلم اللغة الإنجليزية، ذلك عندما كان طالباً بجامعة بايروا، وهذا ساعده على الاطلاع على بعض الثقافات الغربية.

إنتاجاته العلمية:

كان للشيخ محمد قن الغسوي إنتاجات علمية كثيرة أهمها ما يأتي:

1- كتاب فوائد المنن لمحمد قن، وهذا الكتاب عبارة عن تيسير المضمون الأحكام الفقهية الواردة في كتابي متن الأخضرى للشيخ العلامة عبد الرحمن الأخضرى، وقد طبع بنفقة عبد الله اليسار التجاني بدون ذكر المطبعة والتاريخ، ويبلغ اثنتين وستين صفحة.

2- القلادة الذهبية في متن العشماوي للشيخ العلامة عبد الباري العشماوي، وكلا الكتابين مطبوعين، وضعهما على صيغة السؤال والجواب، فسهل قواعدها، وكمل مقاصدها، ولخص مسائلها تلخيصاً دقيقاً، وطبع أيضاً بنفقة عبد الله اليسار، في سنة: 1437هـ = 2016م، بدون ذكر المطبعة، ويبلغ إحدى وخمسين صفحة.

3- ترجمة متن الرسالة للإمام ابن أبي زيد القيرواني إلى اللغة الهوسا، وقد طبعت بنفقة عبد الله اليسار، بدون ذكر المطبعة والسنة.

4- ألف كتاباً فقهياً بلغة هوسا، بعنوان: أَفْهَمْتُ أَلَدِينَ أَسَوْقِي A fahimci Addini a saukake "وهي مخطوط يشمل بيان أركان الإسلام الخمس: التوحيد، والصلاة والصوم والزكاة والحج.

5- ترجمة كتاب "ابن دريد إلى لغة الهوسا، وسماه "الحلية الجوهريّة في شرح مقصورة ابن دريد باللغة الهوسوية" وهو مخطوط عند صاحبه.

6- ألف كتاباً معيارياً صحح فيه بعض الأخطاء النحوية في الكتاب المسمى بـ وعيظي وهو مخطوط.

7- ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة الهوسا المسمى: "حسان المنان في إبراز خبايا القرآن" وهو عمل مشترك بينه وبين الشيخ محمد الناصر كبر رضي الله عنه، وطبع بإشراف الحاج عبد الله اليسار، بدون ذكر المطبعة والتاريخ.

الكناية وأنواعها في كمال الأمانى

التمهيد عن الكناية:

أما الكناية في اللغة: فهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره. يُقَالُ لُغَةً: كَتَى عن كذا: تكلم بما يُستدلّ به عليه ولم يصرّح. ويُقَالُ: تَكَتَّى إِذَا تَسَتَّرَ، مِنْ كَتَى عَنْهُ إِذَا وَرَى.

فأصل الكناية تَرَكُّ التصريح بالشيء، وسَتَرُهُ بحجابٍ ما، مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاءٌ ما بحجابٍ غير سائرٍ سَتَرًا كاملاً.

اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له، أو مصاحبٍ له، أو يُشار به عادةً إليه، لما بينهما من الملازمة بوجهٍ من الوجوه.

كالكناية عن طول القامة بطول نجادٍ السيف "نجاد السيف: أي: حمائله" وكالكناية عن قضاء الحاجة الطبيعية بالجيء من الغائط: "الغائط: الأرض المنخفضة التي كان العرب يقضون حاجتهم الطبيعية فيها".

تعد الكناية إحدى وسائل إنتاج المعنى لما تحمله من إشارات خفية تلوح بالمعنى وتومي به دون الإفصاح عنه، وذلك مما يؤدي إلى إضفاء العمل الفني للنص. الذي يتجسد بالتصوير الكنائي، وهي لا تقل أهمية عن الاستعارة في تجسيم المعاني

وإخراجها في صورة محسوسة تزخر بالحياة والحركة، فهي الوسيلة الوحيدة التي تنشر للمرء أن يقول كل شيء، وأن يعبر بالرمز والإيحاء عن كل ما يحول بخاطره حراماً كان أو حلالاً، حسناً كان أو قبيحاً، وهو غير مخرج أو ملوم".

ومن أقسام الكناية ما يهتم بذكر الصفة أو صفات بينها وبين صفة أخرى تلازم وارتباط، بحيث ينتقل الذهن بإدراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكنى عنها المرادة، وهي التي تسمى الكناية عن صفة، أو المطلوب بها.

وقسم البيانيون الكناية إلى:

- 1- كناية عن صفة، مثل قول الخنساء: طويل النجاد.
 - 2- وكناية عن موصوف، مثل جاء قابض يده.
 - 3- وكناية عن نسبة.
- فعبرة: "طويل النجاد" كناية عن صفة هي طول قامته.
- وعبرة: "جاء قابض يده" كناية عن موصوف، أي: جاء البخيل.
- وعبرة: {مثل نوره كمشكوة فيها مصباح} كناية عن نسبة إمداده لها بالبقاء في الوجود، كالكهرباء لبقاء النور في المصباح الكهربائي إذا انقطع إمداده انعدم النور منه، ولله المثل الأعلى.
- الكناية عن صفة في كمال الأماني:**

وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت. وقد ذكر الشيخ محمد قن عشر ظاهرة للكناية في تسعة أبيات، في قصيدة كمال الأماني منها: عندما ينوه بفضل الأمير محمد سنوسي على الأمراء، ويرتب انتصاراته على أعداء مملكته أتى بظاهرة الكناية عن صفة:

وبه تشتت جند كل ممرد وبه تقهقر ماكر أو ماكره

يبين الشاعر أن الأمير كان سبباً لتفرق جمع الخارجين عن الطاعة وانهلال ربط قوتهم، وأن كل من يدبر عليه من أي جنس كان قد فشل تدبيره ومكره بسبب دهاء الأمير وخلوص طويته.

ففي قوله: "تشتت جند كل ممرد" كناية عن صفة همته العالية، بحيث كنى بالتشتت عن اضمحلال خفايا كيد المكيدين وفشل خططهم بعلو همته، فالكناية لغرض كون التعبير المكثي به (تشتت الجند) ينبّه على معنى لا يؤديه اللفظ الصريح المكثي عنه وهو: افتراق الكلمة.

وهكذا في قوله: "تقهقر ماكر" بحيث كنى بالتقهقر عن خمود نار مكر الماكرين وفشل خططهم، فهذه كناية عن صفة أيضاً، لغرض كون التعبير المكثي به (التقهقر) ينبّه على معنى لا يؤديه اللفظ الصريح المكثي عنه وهو الفشل.

ومن بلاغة هذه الكناية إثارة الأسلوب غير المباشر أكثر تأثيراً في من يقصد توجيه الكلام إليه غالباً. ذلك لأن الشاعر يريد إبراز صورة فشل المارد، وانهلال قوى الماكرين فذكر ما يحمل صورة ذلك مع الاختصار في ذكر اللفظ المكثي به؛

لأن "التشتت" و"التقهقر" يوضحان حالة الجند والماكر، ويمثلان جانباً رفيعاً من جوانب صفة هذا الجند والمكر. في جملة قصيرة لا تتجاوز كلمتين، وذلك هو الإيجاز الذي يمثل عنصراً من عناصر رفيع التعبير والإيجاز. وقال الشيخ محمد قن:

وإزاره تقوى الإله رداءه نخب المعارف والعلوم الناضره
نعلاه أدب والتعقل ليتني قد نلت كافة تي اللباس الفاخره
يصف الشاعر الشيخ بصفات لكن على طريقة التكنية، بحيث وصفه بتقوى الإله، والعلوم النضرة، والمعارف المنتخبة، والأدب الجميل، والعقل الرزين. ثم تمنى أن يكون هو بنفسه متصفاً بهذه الصفات.
ففي قوله: "وإزاره تقوى الإله" كناية عن صفة لازمة بالممدوح، كما أن الإنسان لا يفارق إزاره، فهكذا الشيخ مع تقوى الله تعالى، فهذه كناية عن صفة ملفوظة؛ لأنه يصف ملازمة تقوى الله تعالى للشيخ بملازمة الإزار للإنسان؛ لأن المكنى عنه (ملازمة التقوى) صفة ملازمة للموصوف (الشيخ الممدوح).
وأما في قوله: "رداءه نخب العلوم" فهي كناية عن صفة -أيضاً- بحيث كنى عن صفة التحلي بالعلم والمعرفة بالرداء الذي يكون من أعلى الإزار؛ ولأن العلم والمعرفة شيء معنوي لا يمكن أن يرتدى به، ولكن يشير إلى الملازمة وإن لم تكن على الدرجة الأولى؛ لأن الإزار أعلق بالإنسان من الرداء.
وفي قوله: "نعلاه أدب والتعقل" كناية عن صفة ثالثة؛ لأنه يشير إلى أن الشيخ قد تحلى بالأدب، كما أن الإنسان يلبس النعل فيتحملى به، وأنه اتخذ الأدب والتعقل وقاية عن الوقوع في المخاطر النفسية، والموبقات الشيطانية، ومهلكات الهوى، مثل من اتخذ نعلاً تقيه عن وطء الموديات، والمشي على المخاطر.
ففي هذا نوع من التفنن بحيث كنى بالإزار عند التقوى، فهو أوجب الوجبات في الملابس، ثم الرداء الذي هو دونه في مرتبة الزوم، ثم النعل الذي هو دون الرداء، ولكن لا تتم اللباس دونه.
وصور هذا البيت توافق ما قال ابن المهيب في تحميسه للوسائل المتقبلة:
ألا إن من شاء الهدى فهو الهدى قد اعتم بالتقوى وظاهر وارتدى
وفي بيت آخر يقول:

أتى معشراً في صحو غيهم سُدى بجلباب رشد سائر نير السدى
سدى برده التقوى ولحته الهدى

وقال الشيخ محمد قن:

ولرب مهمة كريهة مسلك صارت عمارات تسر الناظره

فهذه كناية عن القلب، أي ولرب طبيعة مهلكة للإنسان، ومكيدة من مكائد النفس والشيطان أزيلت وتقلعت لما لقيت مع طبيب الفؤاد ماهر في ذلك، وهو الشيخ فعمرت هذه القلوب بالذكر ومشاهدة الله سبحانه. يفرح بها كل مؤمن

تقي. فالظاهرة عند قوله: "مهممة كريهة مسلك" بحيث كنى عن المهلكات القلبية، والمكائد الشيطانية، بمهممة (أي مفازة)، فهذه كناية عن صفة، لغرض إرادة التعمية والإلغاز ويلاحظ من بلاغة هذه الكناية وجمالها أنها أتت مصورة لما اتصفت به النفوس قبل تزكيتها وما عادت إليه بعد التزكية، فوصفها بمفازة واسعة ثم بمدينة معمرة رائعة. في أوجز العبارات. وعندما يحض الشيخ محمد قن الناس على التمسك بحبل وداد الشيخ إبراهيم انبئاس أتى بظاهرة الكناية عن صفة أخرى فقال:

هاكم به يا قوم دون تلفت هو قدوة في اليوم وهو إماميه

فالشاعر يأمر الناس بملازمة غرز الشيخ الممدوح، وعدم الالتفات إلى غيره من الأشياخ أو الانتقاد عليه، ويبين إمامته للناس اليوم وكونيته قائدا يقتدى به، موافق لما ادعى به إبراهيم عليه السلام.

ففي قوله: "دون تلفت" لما أراد أن يستقبل القوم ويوجههم إلى الشيخ، ويطلب منهم أن يبذلوا كليتهم دون انتقاد، دعاهم إلى ذلك بقوله: "هاكم به". وكنى عن الانتقاد بالتلفت، فهي كناية عن صفة، لكون المكئى به (التلفت) أسهل فهماً من لفظ المكئى عنه (وهو الانتقاد).

فالجمال البياني يظهر في إبراز صورة القوم عندما أعرضوا إلى الشيخ كصورة من يسعى ويلتفت فلا خلاص له من الاصطدام والوقوع في حفرة خطيرة، فهكذا حال من يعرض من حضرة الشيخ إلى حضرة غيره. فهذا تصوير رائع وبديع إلى الغاية.

وفي ذكر ما في طريق الوصول إلى المحبوب من المخاطر أتى الشيخ محمد قن بظاهرة الكناية أيضاً فقال:

إن الوصول لمن تحب بُعيد ما جوب الموامي والمعامي الضائقة

لاشك أن الوصول إلى المحبوب ليس أمراً سهلاً، بل لابد من قطع أرض قفر بعيدة، واقتحام الأخطار، فالحنّة الصادقة إذا كانت دينية لابد لها من عوائق شيطانية ونفسانية حتى إذا سلم منها السالك وصل إلى المحبوب، كما قيل في المثل السائر: "بقدر ما تتعنى تنال ما تمنى"؛ لأن الحب له عدوان قويان مصرحان بالعداوة، الأول هو الشيطان كما بين سبحانه وتعالى بقوله: {إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً}. والثاني هي النفس الأمارة بالسوء كما قال الله تعالى: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأماراة بالسوء إلى ما رحم ربي}.

فقوله: "جوب الموامي والضائقة" كناية عن المغامرة، فهي كناية عن صفة فقد كنى عن بعد المسافة والعوائق النفسية والشواغل الشيطانية والجسدية دون الوصول إلى المحبوب بجوب الموامي الضيقة التي هي شيء معنوي بمعنى كثرة السير في الأرض القفر البعيدة، ففي هذا كناية عن صفة، لغرض إثارة الأسلوب غير المباشر في الكلام فالجمال البلاغي يظهر في كيفية تصوير الشواغل والعوائق بصورة مفازة واسعة خطيرة، وعلاوة على خطرهما لا تسع على كل من رماه القدر في مضايق قفارها مع رحبه، وفاقا لقوله تعالى: {حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت...} فهذا من أعظم تصوير للصورة البيانية.

وقال الشيخ محمد قن:

وبه ينال الدين رفع لوائه وبه يدمدم مارق أو مارقه

يبين الشاعر أن الدين يرتفع ويعلوا بسبب الخدمة التي قدمها الشيخ الممدوح إليه فهذه من أعظم نعمة الله على العبد أن يجعله ممن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ كما بين أن الشيخ يغالب المارقين بالحجة، ويدخض شبهتهم بالبرهان القاطع.

فقد أتى بالظاهرة عند قوله: "وبه ينال الدين رفع لوائه" فكنى عن الشرف والقبول برفع اللواء؛ لأن اللواء والراية من علامات الرفعة لكل أمة، فهذه كناية عن صفة، لإرادة إيضاح المكنى عنه بما في اللواء من توضيح له. كنى برفع اللواء عن انتشار الإسلام وقوة شوكته في عبارة موجزة، بحيث استخدم هذا الأسلوب الكنائى، فهذا من حسن بلاغة هذا الأسلوب.

قال الشيخ محمد قن:

طهر جميع القلب وات مساجده فيها المعارف والقلوب العابده

يطلب الشاعر من المريد أن ينقي قلبه ويمحصها ويستقبل بكليته إلى حضرة الشيخ لينال المعروف، ويستفيد بما في الحضرة من مصاحبة الصلحاء والأخيار. ويمثل قول الله تعالى: ﴿أَمْ خَلِيقٌ مُّتَبَدِّلِينَ﴾ كنى في قوله: "طهر جميع القلب" الظاهرة، بحيث كنى عن الاستقامة والإقبال الكلي والتزكية النفسية بالطهارة، ففي هذا كناية عن صفة، لإيثار الأسلوب غير المباشر في الكلام.

فالجمال الفني يصور في التكنية عن تنقية القلب والاستقامة بالتطهير الذي هو للشيء الحسي، فهذا تصوير بالغ في الروعة والجمال، بحيث وصف القلب المعنوي بالشيء الحسي في ضمن وصفه بأوجز العبارة.

قال الشيخ محمد قن:

فيض الولي الختم مروى الأوليا فيض به تجلى الكروب العاقله

فهذا الفيض ليس إلا فيض ختم الأولياء الممد لهم - الشيخ أحمد التجاني - فهذا الفيض يزيل الهموم والأحزان التي تكون للشاعر في طريق الوصول إلى الله، كالعقال للدابة بحيث يمنعها من السرعة في السير.

عند قوله: "مروى الأوليا" فقد كنى بالشيخ الممد للأولياء بالمروى، ففيه كناية عن صفة، لإرادة إيضاح المكنى عنه (وهو الممد) بما في المكنى به من توضيح له (وهو الري).

فالجمال الفني يظهر في اتصاف الشيخ أحمد التجاني خاتم الأولياء بالبحر الزاخر، وتصوير الأولياء بصورة العطاش وهو المروي لهم، المعبر به عن المدد الإلهي الروحي الذي يمددهم به الشيخ.

الكناية عن موصوف في قصائد كمال الأماني:

وهي التي يطلب بها نفس الموصوف والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه. فهذا النوع من الكناية ورد في القصيدة خمس مرات في خمسة أبيات، ففيها قال الشيخ محمد قن:

ولرب مهمة كريهة مسلك صارت عمارات تسر الناظرة

أي ولرب قلب منكدره خطيرة التي امتلأت بالمهلكات النفسية، تحولت بعد ما عاجلها الشيخ معالجة ربانية إلى حال أولياء الله الصالحين، يغبطها كل سالك بعد ذلك.

فالظاهرة في قوله: "صارت عمارات" فقد كنى عن القلوب النقية بالعمارات، فهي كناية عن موصوف، لغرض إرادة التعمية والإلغاز أيضاً؛ لأنه يَصْغُبُ على غير الأذكياء اللماحين إدراك المقصود بها.

فهذا من الجمال البياني بحيث صور القلب النقية بمعمر رائع مزين، حتى لتبدوا الصورة أمام أنظار المتلقي، وكل ذلك في عبارة بليغة وجيزة.

قال الشيخ محمد قن:

ما ناخ ركب في ذراه سوى انثوا متلذذين بكل جود رائقه

يبين الشاعر أنه ما قصد الشيخ مريدي التربية والترقية إلا حصلوا على مرادهم وعادوا إلى جماعتهم واصلين إلى مطلوبهم، متمتعين بكل ما يتمتع به المريد حينما وصل إلى المراد.

عند قوله: "ما ناخ ركب في زراه" فكنى عن كثرة الرواد المريدين في زاوية الشيخ بالركب المنيخة، ففي هذا كناية عن موصوف، لغرض إثارة الأسلوب غير المباشر في الكلام.

فالجمال الفني يظهر جلياً عندما صور المريدين بصورة ركب وافدون، وهبى لهم مكاناً مصوراً بصورة فناء واسع أمام قصر سيد من سادات اقوم، وكل هذا في أسلوب بليغي وعبارة موجزة.

قال الشيخ محمد قن:

برهام من يهمني مياه فيوضه هب لي به الرحمن كل مراسيه

يعني أن الشيخ إبراهيم يقدم ما لديه من المدد الإلهي في أسرع حال، وأقصر وقت، فلذا سأل الله تعالى أن يهب له كل مطلوباته بجاه الشيخ إبراهيم.

وذلك عند قوله: "يهمني مياه فيوضه" فكنى عن المدد الفيضي بالماء؛ لأن كلا منها متصف بالفيضان، ففي هذا كناية عن موصوف، لإرادة إيضاح المكنى عنه (وهو المدد)، بما في المكنى به (وهو الماء) من توضيح له.

فبلاغة الكناية تظهر في اتصاف المدد الإلهي بالماء الفاضل، ثم في تصوير التربية النفسية الروحية الروحية الواصلة إلى ذلك بصورة فيضان الماء، والترقية إلى أسرع من ذلك، وهو المعبر بـ (يهمي) مع ما في ذلك من الموسيقى الخارجية في المجاورة بين كلمتي: "برهام" و "يهمي".

قال الشيخ محمد قن

لولا ثقب سنه في هذا الزمان أوردى الورى ظلم الليالي الداجيه

يبين الشاعر هنا أن ظهور الشيخ إبراهيم في هذا الزمان كان إنقاذاً من الهلاك بعد الإنشاء، ولولا ذلك لوقع الناس في مهاوي الهلاك الدائم إلى الأبد. فكفى عن الضلال بالظلمة كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِي الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ وفي قوله: "ظلم الليالي الداجيه" كناية عن موصوف، بحيث كنى عن المهلكات النفسية، والموبقات القلبية بظلم الليالي، كما أن السائر في الظلمة لا يرى ما يضع عليه قدمه، فبسبب ذلك يقع في مخاطر، كذلك السالك إذا لم يكن له مرب. فهي كناية عن موصوف، إرادة إيضاح المكثي عنه وهو: الموبقات النفسية، بما في المكثي به (ظلم الليالي) من توضيح له. ففي هذا من جمال التعبير ما يثير المتلقي إلى تصوير حال الناس قبل ظهور الشيخ بصورة حساسة فهذا من بلاغة الكناية.

وفي تقديم النصيحة للمريدين وإبعادهم عن الإنكار لشأن الشيخ أتى بظاهرة الكناية قائلاً:

واحذر من الحرب الفزيع المهلك لا يذهبن بك جاهل أو جاهله

يبين الشاعر للمريد أن يتقي الإنهماك في ما لا قبل له به من النكر فإنه كحرب مهلكة تأكل الأخضر واليابس، ويحذره أن لا يوقعه منكر في هذا الخطر العظيم. عند قوله: "الحرب الفزيع" ففي هذا كناية عن المهلكات النفسية والصراع الشيطاني، بالحرب الفزيع المهلك، فهي كناية عن موصوف، فالغرض في الكناية: (الحرب الفزيع) إثارة الأسلوب غير المباشر في الكلام، إذا كان مقتضى الحال يستدعي ذلك.

فالجمال الفني يظهر في تكتيته عن الإنكار في شأن الأولياء بالحرب الفزيع، بحيث صور الأمر المعنوي في صورة حساسة، وأبرزه في ثوب صراع قوي دائم بين جحفل وآخر، ولم يكتف بهذا حتى وصفه بصفة أخرى: "مهلك" فهذا من أبرز صورة ملتقطة لهذا النوع من الكناية، كأنه يشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب".

الكناية عن نسبة في قصائد كمال الأمان:

ويراد بها إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، أو بعبارة أخرى يطلب بها تخصيص الصفة بالموصوف فهذا النوع من الكناية ورد في القصيدة أربع مرات في أربعة أبيات، ففيها

قال الشيخ محمد قن:

وبه تبخّخ مسلم أو مسلمة وبه تزلزل كافر أو كافره

فالشاعر هنا يشير إلى أن المسلمين كلهم قد تحبذوا بالشيخ الممدوح، وقد أعجبوا به، ورضوا به قائداً، ومرشداً، ومربياً. وأن الكافرين قد خوفوا وأزعجوا بسببه، كأن الشاعر يصف الممدوح بالصفات التي وصف الله تعالى كتابه بها في قوله: {ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً} وقوله: {وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون} وغير ذلك من الصفات، بحيث يرضى به المؤمن مرشداً وينبسط لذلك، ويؤرُّ به الكافر ويضطرب بسببه. كما قال الممدوح في ديوانه "أوثق العرى في مدح سيد الورى":

حلفت يمينا إنني لا يحيني سوى أسعد والعكس في حال بغضيا

ففي البيت كناية عن نسبة، بحيث نسب القبول والرضى للمسلمين على طريقة الكناية لا التصريح، فالإنسان إذا وافق شيئاً قبله ورضي به ثم أعجب به، فهو الذي تدل عليه كلمة: "ببخّخ" وإذا خالف شيئاً رده واضطرب بسببه وأحدث فيه هذا الاضطراب زلزلة. فهذه الكناية بعيدة إذا؛ إذ هناك وسائط قبل الوصول إلى المطلوب.

قال الشيخ محمد قن:

قد حاز في البحرين قصب سباقه فغدى عميدا والمعارف خامره

يذكر ما نال الشيخ في البحرين من التقدم على الدرجة الأولى، حتى صار في أهلها سيداً مطاعاً. فالظاهرة تكون في قوله: "قد حاز في البحرين قصب سباقه" بحيث كنى عن الحصول إلى الدرجة العليا بعبارة: "حاز قصب السبق أصله: أنهم كانوا ينصبون في حلبة السباق قصبه، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق. فهنا كنى عن الحصول على الدرجة الأولى في الإمامة في البحرين بجائزة قصب السبق، كأنه تسابق مع الآخرين فسبقهم إلى الحلبة واقتلع القصبه المنصوبة.

فهي كناية عن نسبة؛ لأنه نسب الحصول إلى الدرجة الأولى إلى الشيخ على طريقة الكناية، لغرض إرادة إيضاح المكثي عنه وهو العلو على الدرجات، بما في المكثي به من توضيح له، وهو حيازة قصب السبق.

والسر البلاغي في هذه الكناية هو وضع صورة جديدة محسوسة، ورسمها أقرب فهماً إلى ذهن المتلقي، بحيث صور الحصول على الدرجة بصورة محسوسة بحاسة البصر، وهو: "أخذ قصب السبق".

قال الشيخ محمد قن:

حول إليه ولا تمل عن داره سر نحوه تجد الفيوض الحاشده

إذا كنت آخذاً بورد غيره فعليك بالتحويل إلى ورده ولا تنحرف عن طريقته والسير في سلكه، ففي متابعة طريقته تجد الفيوض الربانية الكثيرة الغزيرة.

فقوله: "ولا تمل عن داره" كناية عن الالتفات إلى الغير والانحراف عنه، والميل عن دار الممدوح، ففي هذا كناية عن النسبة؛ لأن الكناية عن النسبة هي: إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه. ولكون المكئى به (الميل عن الدار) أسهل فهماً من لفظ المكئى عنه (الإعراض عن الشيخ).

فالجمال الفني يقع في تقريب فهم المتلقي حتى يفهم المكئى عنه كما يفهم كيفية إضلال من حاد عن طريق موصل إلى دار يريد دخولها. وفي قوله عندما يرتب ما للشيخ من خصائص وفضائل أتى بظاهرة أخرى فقال:

جاء الموامي من وداد المصطفى المجتبى رب المعالي الراسيه

أي قطع المفاز والقفار الروحية من أجل المحبة الصادقة الخالصة للنبي صلى الله عليه وسلم. فالظاهرة عند قوله: "جاء الموامي" فقد كنى عن قطع المراحل في السير إلى الحضرة المحمدية بجوب الموامي الذي هو أمر خطير بالنسبة للمحب، فهذه كناية عن النسبة، لغرض تقريب المكئى عنه إلى ذهن المتلقي.

الخاتمة وأهم النتائج:

تناولت هذه المقالة موضوع الكناية في قصائد الشيخ محمد قن الغسوي بحيث تعرضت نبذة وجيزة لحياة الشاعر وهو من مواليد حي فيلن تنكوا وما زال أسرته التي ينتمي إليها موجود في مدينة غسوا عاصمة لولاية زمفرا. وقد توصل الباحث من خلال هذا البحث أن قصائد كمال الأمانى قرضها الشاعر محمد قن في التهيب والتهاني بقدم الفيز التجاني وكان لها قيمة الشعرية بحيث اشتملت على خمسة مقاطع كل مقطع مبني على البحر الكامل الذي هو من أطول البحور الشعرية واحتوت مجموع الكلي على ست وعشرين وأربع مائة ورغم ذلك لا يوجد عيوب للقافية في هذه الأبيات إلا قليل نسبة للقصائد. وأيضاً ذكر الورقة اساليب الكناية صفة عشرة ظاهرة وموصوفة خمس ظاهرة وكناية عن نسبة أربع ظاهرة والمجموع الكلي تسعة عشرة ظاهرة.

وكذلك أدرك الباحث ما للشاعر من التجربة الشعرية من استعمال الصور البيانية في عرض المدح بحيث توصل بها إلى إبراز العواطف الكامنة في خيال وصورة حساسة.

لم يخرج الشاعر عن إطار التقليدي في بناء القصيدة العربية، حيث تجده يخضع لأهم خصائص بناء القصيدة في العصر القديم من وزن وقافية وروي. ويظهر من خلال المقال أن قصائد كمال الأمانى مليئة بالكناية كثيرة الأمر الذى يدل على موهبة الشاعر في استخدام اللغة وملكته اللغوية.

الهوامش والمراجع:

● محمد قن علي الغسوي، نسخة مصورة من القصيدة المسامة بـ "كمال الأمانى في الترحي والتهاني بقدم الفيز

التجاني الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي".

➤ إبراهيم إنياس الكولخي (الشيخ)، ديوان أوثق العرى في مدح سيد الورى، المرجع السابق.

- إبراهيم مصطفى، وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية، مصر.
- أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، مطبعة: دار الجيل - بيروت، الطبعة الثالثة.
- أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني الأزدي، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، الطبعة: الخامسة، دار الجيل، 1401هـ = 1981م.
- أحمد تجاني محمد، **شعر الرثاء عند الشيخ محمد قن بن علي الغسوي** "تسليية الأحزان" و"هبة الرحيم" نموذجاً، دراسة أدبية تحليلية، بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، جامعة بايرون، كنو، 2015م.
- أحمد محمد ثالث، **صور من التشبيه في أشعار بعض علماء كنو**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بايرون، كنو 2002م.
- أحمد مختار عمر (الأستاذ الدكتور)، وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مطبعة: علم الكتب، ط: 1، 1429هـ = 2008م.
- أويس إبراهيم، **ديوان الأستاذ الدكتور سمبو ولي جنيد**، رسالة الدكتوراة في اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، ص: نقلا من كتاب الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري.
- بكري، شيخ أمين (الدكتور)، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، د: مطبعة والتاريخ.
- الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان**، مطبعة: دار الفكر.
- حسن عبد الجليل يوسف (الأستاذ الدكتور)، **علم القافية عند القدماء والمحدثين**، مؤسسة المختارة، 2005م.
- الحقيقي صالح سليمان إمام، **أدب الرحلة عند العلامة الإلوري**، مطبعة كبوو داميلولا، 2010م.
- عبد الرحمن الأخضر، **الجواهر المكنون**، على هامش شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة: دار الفكر.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، مكتبة النور، ط: 1.
- عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، مطبعة: مكتبة الإيمان.
- عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، طبعة: دار التراث، الطبعة: 2، سنة : 1420هـ = 1999م.
- العلامة عبد الرحمن حسن الحبنكة الميداني، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، ج: 1، 628، المكتبة الشاملة.

- علي نائي سويد، كيف نتذوق الأدب؟، دار الأمة كنو نيجيريا.
- غلادني، شيو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، (1997م)، المكتبة الإفريقية.
- متبولي شيخ كبر (الدكتور)، صور بيانية في شعر الشيخ محمد الناصر كبر "دراسة بلاغية تحليلية"، ط: 1، القاهرة: شركة القدس، 2013م.
- محمد المختار أتم أحمد، لباب العروض والقوافي، 2003م.
- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، شركة القدس، ط: 1، 1430هـ=2009م.
- محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكمات دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، (ط: 7، مكتبة وهبة) د.ت.
- محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية 1426هـ - 2005م.
- مصطفى السقا، مختارات الشعر الجاهلي، دار الفكر، ت: 2005م.

ثالثا: البحوث العلمية:

- إبراهيم أول إبراهيم، (كمال الأمانى) للشيخ محمد قن الغسوي، دراسة موسيقية. بحث علمي تكملة للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو. 2015.
- محمود تحاني، دراسة أدبية لديوان جوهرة الرثاء وشاشة أهل الصفاء. للشيخ محمد قن بن علي الغسوي، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية؛ جامعة بايرو كنو، تكملة للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية. سنة 2013م.

رابعا: المقابلات الشفاهية:

- مقابلة شخصية يوم الثلاثاء 19 - رمضان 1445هـ في الساعة الحادية عشرة صباحا، مع الدكتور عمر بن محمد قن وهو الثاني من أبناء الشيخ، المتولي شؤون، وأمين العام لخزائنه.